هيئة الشام الإسلامية

نور الشام

دورية صادرة عن هيئة الشام الإسلامية
شعبان ١٤٣٥هـ الموافق يونيو/حزيران 2014 م
/islamicsham

العـدد: ٢١
السنة الثالثة



في هذا العدد:

نور الشام ترحب بمشاركاتكم وتزداد ثراءً بأقلامكم.... للتواصل مع إدارة التحرير وإرسال مشاركاتكم
contact@islamicsham.org

افتتاحية العدد:

شهر رمضان شهر العبادة بما فيه من صيام وقيام وتلاوة القرآن الكريم والاعتكاف، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة: ١٨٥)، قال ابن كثير: «وكان ذلك -أي نزول القرآن- في شهر رمضان في ليلة القدر، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾، ثم نزل بعده مفرقاً بحسب الوقائع على رسول الله ﷺ».

وعن ابن عباس، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالْخَيْرِ، وَكَانَ أَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَلْقَاهُ، فِي كُلِّ سَنَةٍ، فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ» متفق عليه.

وكان يعارضه القرآن في كل عام مرة، وفي العام الذي توفي فيه رسول الله ﷺ عارضه جبريل القرآن مرتين.

وكان للسلف رحمهم الله اهتمام خاص بالقرآن في هذا الشهر الكريم، فكانوا يخصصون جزءاً كبيراً من أوقاتهم لقراءته، وربما تركوا مدارسة العلم من أجل أن يتفرغوا له، وكانوا يقرؤون القرآن في الصلاة وفي غيرها.

كما أن رمضان هو شهر الصبر وتقوية الإرادة، وبناء الشخصية الإسلامية بشقيها الروحي والبدني، مع تحقيق التقوى والرقابة الدائمة لله تعالى، فلم ينظر إلى الصوم على أنه حرمان مؤقت من بعض الملذات والأطعمة والأشربة، بل جعله مدرسة لتدريب النفس على مواجهة الشهوات والنزوات، قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» رواه البخاري.

وقال رسول الله ﷺ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَهُوَ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، إِنَّمَا يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي، فَصِيَامُهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» رواه أحمد.

وقال: «لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ فَقَطْ إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ أَوْ جَهِلَ عَلَيْكَ فَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ» رواه البيهقي.

وقد ذكر القرآن الكريم ثمرة الصوم، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

قال ابن حجر رحمه الله: «اتفقوا أنَّ المراد بالصيام صيام من سلم صيامه من المعاصي قولاً وفعلاً».

وهذا الإيمان والصبر يمنح المسلم من القوة ما يجعله يقف أمام أعدائه قوي الإرادة، يصبر ويصابر إلى أن يحقق الله له النصر.

فشهر رمضان هو شهر الجهاد، وفيه وقعت أعظم معارك المسلمين على مر التاريخ، بدءًا من غزوات الرسول ﷺ: غزوة بدر الكبرى التي فرق الله بها بين الحق والباطل، وفتح مكة، والتي بها تطهر البلد الحرام، وسقطت رايات الوثنية فيه، ثم انتشر الإسلام في الجزيرة العربية، وأصبح فيها عزيزًا منيعًا.

ثم كان رمضان عند سلف الأمة كثير الأحداث والفتوحات العظيمة.

ففي رمضان من سنة ١٣هـ انتصر المسلمون في موقعة البويب بقيادة المثنى بن الحارثة، وكان عددهم ثمانية آلاف فقط، على الفرس الذين كان عددهم مائة ألف بقيادة (مهران) من أعظم قوّاد الفرس.

وفي رمضان من سنة ٥٣هـ فتحت جزيرة رودس في البحر الأبيض المتوسط، في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان الجيش بقيادة التابعي جنادة بن أبي أمية الأزْدِي.

وفي رمضان سنة ٩١هـ نزلت أول فرقة استكشافية للمسلمين في الأندلس.

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي -رحمه الله- حرّرت صفد في رمضان سنة ٥٨٤هـ.

وفي رمضان سنة ٦٥٨هـ هزَم المسلمون بقيادة سيف الدين قطز التتار هزيمة منكرة.

ولا تكاد توجد معركة خاضها المسلمون في رمضان إلا انتصروا فيها، سواء كان العدو مشركًا أو صليبيًا أو تتارًا أو فرسًا أو غير ذلك.

نسأله تعالى أن يجعل رمضان لهذا العام نصرًا وفتحًا على المسلمين في كل مكان، والحمد لله رب العالمين ■

فتـــــوى

حكم حب الإنسان لوطنه واهتمامه به

المكتب العلمي بهيئة الشام الإسلامية

السؤال:

ما الموقف الشرعي من حب السُّوري لوطنه؟ وهل يجوز له أن يهتم ببلده أكثر من اهتمامه ببلدان المسلمين الأخرى، خاصة أن هناك من يقول: إن هذه الدول اليوم والحدود التي بينها من صنع الاستعمار لتفريق المسلمين، وأن هذا إقرار للحدود السياسية التي فرضها الاستعمار؟

الجواب:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

أولاً: وطن المرء هو مكان إقامته وسَكَنه. وإلْفُ الإنسان لوطنه وحبُّه له أمر فطري جبلّي. ففي صحيح البخاري عن أَنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنّ النبيّ ﷺ: «كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ فَنَظَرَ إِلَى جُدُرَاتِ الْمَدِينَةِ أَوْضَعَ نَاقَتَهُ وَإِنْ كَانَ عَلَى دَابَّةٍ حَرَّكَهَا مِنْ حُبِّهَا»، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في (فتح الباري): «وفي الحديث دلالةٌ على فضل المدينة، وعلى مشروعية حبِّ الوطن والحنين إليه».

وسبب هذا الإلف والمحبة وجودُ القرابات والصحبة، وذكرياتُ الصّبا، وتقاربُ الطباع والعادات الاجتماعية، واتفاق اللهجة وغيرها، كما قال ابن الرومي:

وحبّبَ أوطانَ الرجال إليهمُ مآربُ قضّاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهمُ عهودُ الصبا فيها فحنوا لذلكا

وقد يدفعه هذا الحبُّ أن يخصّه بأمر دون غيره، أو يُقدِّم أهله على غيرهم فيما لا ظلم فيه ولا اعتداء، وهذا كله لا حرج فيه.

وفي العصر الحديث أصبح الوطن يُطلق على البقعة الجغرافية السياسية التي تقع ضمن الحدود التي رُسمت لكل دولة. وفي هذه الحالة قد لا تكون جميع الدولة "وطناً" للمرء بالمعنى اللغوي، بل إن بعض الحدود قسمت أبناء القبيلة الواحدة، وهم يَعدُّون أرضهم الموزعة بين عدة دول وطناً لهم، ولا يَعدُّون الأرض البعيدة التي تقع ضمن حدود دولتهم وطناً لهم.

ومع ذلك فإن هذه الحدود -وإن كانت مصطنعة- إلا أنّ طولَ العهد بها وانتظامَ أهلها تحت قوانين موحدة أورثهم نوعاً من الانتماء والميل الفطري إلى بلدهم، وهذا أمر شعوري معتاد لا يلزم منه الإقرار بهذه الحدود أو الرضا بها.

ثانياً: إذا تعلّق بالمكان فضيلةٌ شرعية فأحبه المرء لذلك، فإنه يُؤجر على حبه إياه. من ذلك: أن يحبّ بلداً من أجل محبة الله له، أو لما خصّه الله به من الفضلِ والخير والبركة. وعلى رأس هذه الأوطان: مكةُ المكرمة، ثم المدينةُ النبوية، ثم بيتُ المقدس وبلادُ الشام واليمن. وقد يحبّ المكان أيضاً لإقامة الشرع فيه، أو لظهور شعائر الإسلام في ربوعه، أو لكونه أرضَ جهاد أو رباط.

ثالثاً: قد يُفضي حبُّ الوطن إلى محرّم، كأن يتعلّق الإنسان بوطنه فيتركَ الهجرةَ والجهادَ في سبيل الله من أجله، وقد ذم الله سبحانه وتعالى الذين يفعلون ذلك، وتوعّدهم بأشد الوعيد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. (النساء: ٩٧).

ومن ذلك أيضاً: أن يتعصّب للوطن، فيجعلَ ولاءَه وبراءَه وعطاءَه ومنعَه وقتاله ودفاعه كلَّ ذلك في سبيل الوطن، بل يصوغ محياه ومماته على منهج الوطنية الوثنية لا الإسلامية الربانية، حتى قال بعض الشعراء:

وطني لو صوّروهُ لي وثناً لهممْتُ ألثمُ ذلك الوثنا

فعقدُ الولاء والنصرة يجب أن يُبنى على الدين، فالمسلمون إخوة مهما تباعدت أقطارهم وتناءت ديارهم، والمسلم للمسلم كالبنيان، ولا يجوز بحالٍ أن تطغى الحدود المصطنعة على الرابطة المقدسة التي رضيها الله لعباده المؤمنين. فليحذر المسلم أن يوالي ويعادي على أساس جنسيته ودولته، وأن يُقدِّم رابط الدولة على رابط الدين، فيقدمَ ابن بلده الفاسق على ابن دولة آخر صالح، أو ينشطَ لمساعدة المنكوبين المسلمين في دولته، ولا يكترثَ لمن كانوا في نفس الحاجة أو أشد في دولة أخرى بحجة أنه يحمل جنسية هذا الدولة، ولا يحمل جنسية الدولة الأخرى.

رابعاً: ما فرضه الواقع من حدودٍ للدول وحقوقٍ سياسية للمواطنين، وتسهيلات لهم لا تعطى لغيرهم من سهولة الحركة والتنقل والعمل فيها وغير ذلك، إضافةً إلى أن البلدي أدرى ببلده من غيره -وأهل مكة أدرى بشعابها- كلُّ هذا يجعل من الحكمةِ والمصلحة أن يخصّ الدعاة والمصلحون دولهم بمزيد من الاهتمام والجهد؛ لأنه يمكنهم أن يفعلوا لها ما لا يفعله غيرهم.

ولا حرجَ عندئذ أن ينصرف جُلُّ اهتمام السوريين إلى سوريا، والمصريين إلى مصر، وهكذا، كما قال الله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾(الشعراء: ٢١٤)، مع مراعاة حقّ المسلم على المسلم عامة أياً كان بلده، ومع عدم التعصب لدولته.

وليس هذا من الرضا بحدود المستعمر، بل من الوعي وفقه الواقع، وتوظيفه لخدمة الإسلام وأهله. ألم تر كيف كان الرسول ﷺ يغشى القبائل في موسم الحج، ليعرض عليهم الإسلام، وقد كان في موسمهم من الشرك والتفاخر بالأنساب والقبائل ما فيه، أفكان غشيانه ﷺ لهم رضاً بما يصنعون؟!

خامساً: ما بيناه من أنّ اهتمام كل أهل بلد بشؤون بلدهم أمر سائغ، لا يمنعنا من أن نذكر أهل الإسلام بواجبهم تجاه بلاد الشام عموماً، والثورة السورية في هذا الوقت تحديداً؛ فبلاد الشام هي عنوان البلاد الإسلامية وصلاحها صلاحها، كما قال رسولُ الله ﷺ: «إذَا فَسَدَ أَهْلُ الشَّام فَلا خَيْرَ فِيكُمْ» رواه الترمذي.

والطائفة المنصورة هي في بلاد الشام، فعن عُمَيْرُ بْنُ هَانِئٍ أَنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»، قَالَ عُمَيْرٌ فَقَالَ مَالِكُ بْنُ يُخَامِرَ (أحد الرواة) قَالَ مُعَاذٌ: «وَهُمْ بِالشَّأْمِ» متفق عليه.

وسوريا هي الرئة الكبرى التي يتنفس منها الصفويون والرافضة، فإذا سقط النظام الأسدي المجرم سقط المشروع الصفوي في المنطقة، وإذا طهرت دمشق من رجس الباطنيين والرافضة فهو إيذان بتطهير بيت المقدس من رجس الصهاينة بإذن الله.

نسأل الله أن يجمع شمل المسلمين، ويوحّد كلمتهم، ويردهم إلى دينه ردًّا جميلاً.

والله أعلم.

من علماء سوريا

الشِّيخ محمَّد بهجة البيطار الدِّمشقيُّ (رحمه الله)

(ت ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م)

هو محمَّد بهجة بن محمَّد بهاء الدِّين البَيطار، ولد بدمشق سنة ١٣١١هـ - ١٨٩٤م في أسرة دِمشقيَّة سكنت حي الميدان، وتعود جذورها للجزائر قبل أكثر من مائتي عام الجزائر (البليدة).

كان عالمًا، فقيهًا، أديبًا، مؤرخًا مصلحًا، خطيبًا.

بدأ تعلمه على يد والده، ثم تأثر بجده لأمه الشيخ عبدالرزاق البيطار في منهجه وتدينه.

وتابع دراسة العلوم الدينية والعربية على يد جده الشيخ عبد الرزاق البيطار، ويد رفيقه الشيخ جمال الدين القاسمي، وكان تأثُّره بالشيخ القاسميِّ كبيرًا، وأخذ عن كبار العلماء والمصلحين في عصره، حتى نال الإجازة في مختلف العلوم النقلية والعقلية.

تأثر به عددٌ من الطلاب وأخذوا عنه، ومن أبرزهم الشيخ الأديب علي الطنطاوي، وعميد مجمع اللغة العربية عز الدين التنوخي، والعالم المحقق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

وكان سبباً في هداية عدد كبير من طلبة العلم والمثقفين والأدباء إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة.

اختير عضوًا في جمعيَّة العلماء، ثم في رابطة العلماء في دمشق.

تولَّى الخَطابة والإمامة في سنٍ مبكرة في جامع الدقاق، كما عمل بالتدريس، تنقَّل في وظائف التدريس في كل من: سوريا، والحِجاز، ولبنان، كما أنَّه درَّس في الكليَّة الشرعيَّة بدمشق.

سافر للحجاز وحضر مؤتمر العالم الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٣٤٥هـ - ١٩٢٦م، وبقي هناك وعمل مديراً للمعهد العلمي السعودي في مكة، ثم تولى القضاء حتى استعفى منه، ثم تولى وظائف تعليمية، وتولى التدريس في الحرم، وأصبح عضواً في مجلس المعارف، ثم عاد إلى دمشق.

كان عضوًا في المجمع اللغوي في دمشق، والمشرف على مجلته ومطبوعاته، ثم أصبح عضوًا في المجمع العراقي.

ترك العديد من المؤلفات مثل:

الإسلام والصَّحابة الكرام بين السُّنة والشِّيعة.

وحياة شيخ الإسلام ابن تيمية: محاضرات ومقالات ودراسات

والرِّحلة النجديَّة الحِجازيَّة: صور من حياة البادية.

وعلَّق على كتاب (مسائل الإمام أحمد لأبي داود السِّجِستاني).

وحقَّق كتاب (أسرار العربية لابن الأنباري)، وكتاب (قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث للقاسميِّ)، وغيرها من الكتُب.

كانت وفاته في جمادى الأولى ١٣٩٦هـ - ٢٩ أيار- مايو ١٩٧٦م ■

«ومن ترك ما تهواه نفسه من الشهوات لله تعالى، عوَّضه الله من محبته وعبادته والإنابة إليه ما يفوق لذات الدنيا كله».

(القواعد الحسان لتفسير القرآن، ابن سعدي)

آراء وتحليـــــلات

الربيع العربي ...
نهضة حضارية أم انتفاضة فاشلة ؟

تركي الجاسر



الانتكاسات التي أعقبت النشوة الأولى المصاحبة لبداية ثورات الربيع العربي، كانت متتابعة وكبيرة في كلّ بلد حلّ فيه الربيع: من انقلاب مصر، إلى مجازر سوريا، إلى فوضى ليبيا، إلى الغموض المطبق في تونس واليمن.

ظن الكثيرون أن تلك النشوة لم تكن في محلها، وأن هذه الثورات لا تعدو أن تكون تحركات عاطفيةً غير محسوبة، وأن الدمار الذي خلفته هذه الثورات سيقنع الشعوب الثائرة بالحنين للماضي بعُجره وبُجره.

وبناءً على هذه الرؤية، فإنّ مصير الثورات إلى انحسار، وإن الشعوب ستقبل بأي نظام يوفر الاستقرار وشيئًا من الأمن وسريان الحياة العادية بعد أن ذاقت ويلات الثورات.

وهذا الموقف وأمثاله يناسب هوى الأنظمة التي تخشى انتقال العدوى إليها؛ لذا فهو مخدوم بشكل غير عاديّ في وسائل الإعلام ومنصات الثقافة، التي لا تزال مملوكة ومحكومة من قبل الأنظمة.

وزبدة هذا الرأي المطروح أنّ هذه الثورات ليست إلا انتفاضات مؤقتة، وسوف تنتهي بسبب ما جلبته من فشل وفوضى.

والترويج المدعوم لهذه الموقف يتسبب في إضعاف الفرصة أمام الرأي الآخر، الذي يقول إن الربيع العربي ليس انتفاضات عابرة، بل هو نهضة حضارية ومسيرة تاريخية شاملة تتعثر لكنّها ستفوز في الأخير.

ولو تجردنا من تدخّل إعلام الأنظمة ومنصاتها الفكرية، وتجرّدنا كذلك من التفكير الرغبويّ بكلا الاتجاهين؛ فما هو الرأي الصحيح؟

هل الربيع العربي نهضة حضارية أم هو انتفاضة مؤقتة؟

الإجابة على هذا السؤال لا يمكن أن تحصل بالمزايدات العاطفية والسياسية والاختزالات الفكرية، ولا بالنظرة السطحية قصيرة المدى، بل لا بدّ من فهم القضية بمنهجية ونظرة شاملة، ودراسة الأحداث بتفاصيلها وسياقاتها، وتأمّلها باستحضار التاريخ والسُّنن الاجتماعية.

وربما يكون أفضل السُّبل للوصول إلى الجواب، هو في المقارنة بين النهضة الحضارية التي تحدث تغييرًا تاريخيًا شاملًا، والانتفاضة المؤقتة التي تُقمع بسهولة، أو تتلاشى مع تحصيل مطالبها، ثم تنزيل هذه المقارنة على أحداث الربيع العربي.

وقبل أن نبدأ المقارنة والإجابة على هذا السؤال، نؤكّد أن هذه لفتات في عصف ذهني سريع وليست بحثًا متكاملًا؛ فالبحث لا يسعه مقال قصير في صحيفة.

وما سيُقرأ هنا من فروق قد يوجد غيرها، وقد تكون مستوفيةً للمطلوب؛ فالمقصد هو تسليط الضوء على أوجه المفارقة بين النهضة والانتفاضة كما يلي:

أولًا: النهضة الحضارية مسيرة تاريخية متواصلة على مدى سنوات أو عقود، بزخم بشري يجرف ما أمامه حتى لو تعرقل قليلًا أو كثيرًا.

وغالب التغييرات التاريخية الكبرى، تعرضت لعراقيل هائلة لكن زخمها العام كان في اتجاه التغيير الشامل.

أما الانتفاضة المؤقتة، فغضبٌ عارض توفّرت ظروف لترجمته على شكل تحرك محدود، بدوافع عاطفية قابلة للامتصاص والاحتواء، يزول أثرها بالكامل خلال فترة قصيرة.

وصمود مسيرة الربيع العربي كل هذه السنين، وإصرار أهله -رغم الصعوبات الهائلة ورغم التعاون العالمي لإيقافه- دليل على أنه مسيرة متواصلة وليس غضبًا عارضًا قابلًا للامتصاص والاحتواء.

ثانيًا: تتصف النهضة الحضارية بسعة الانتشار شعبيًا، ولا تقتصر على مكان أو فئة. ربما يكون انطلاقها محددًا بمكان معين وظرف معين، لكن

يتبين أن ذلك ليس إلا شرارة تبعث التحرك في كافة الأماكن التي تمثل أمة معينة.

أما الانتفاضة المؤقتة، فدائمًا تكون في مكان واحد أو أماكن قليلة، أو لفئة محددة مثل العمال والفلاحين، وتكون مرتبطة بالكامل بظرف انطلاقها وتموت معه في مكانها.

وبما أن الربيع العربي حقق انتشارًا تجاوز المدينة الواحدة إلى كامل الدولة، ثم تجاوز الحدود القُطرية، وواصل المسيرة؛ فنحن قطعًا أمام نهضة حضارية ولسنا أمام انتفاضة مؤقتة.

ثالثًا: النهضة الحضارية مطلبها تغيير شامل، بإزالة آثار الماضي واستبدالها بأسس جديدة للحياة الاجتماعية والسياسية، وعلاقة الشعب مع بعضه وحكامه.

وحتى لو كان انطلاق التحرك لأجل موضوع محدود، فسرعان ما يتحول -بسبب جاهزية الناس- إلى مشروع شامل بإصرار على تغيير كلي حتى لو بعد حين.

الانتفاضة المؤقتة في المقابل غضب محدود من أجل قضية واحدة، أو قضايا مرتبطة ببعضها إما أن تُشبع فينتهي الغضب، أو تقمع فينتهي الحراك، ولا يمكن أن تتحول إلى مشروع شامل.

ولا مجال للشك بأن مسيرة الربيع العربي مشروع تغيير شامل رغم أنها بدأت بمنطلقات بسيطة؛ وبذلك فهو نهضة حضارية وليس انتفاضة مؤقتة.

رابعًا: النهضة الحضارية وقودها إدراك واستشعار وتشرّب قيم كبرى؛ مثل الكرامة والحرية والعدالة والهُويّة والانتماء والمسؤولية الجماعية... وليس متوقعًا ممّن يشارك في هذا الزخم أن يفلسف هذه المعاني بنفسه وبكلماته، لكنها ستبقى هي دافعه الحقيقي وفي ضميره، وإن لم يستطع التعبير عنها.

وحتى لو كانت الدوافع بطالة أو حرمان أو فقر، فإن الثائر لم يغضب لأنه حُرم منها كفرد، بل يغضب لأنها حقّ له ولبقية الشعب، وعلى النظام أن يوفرها لهم، باستحضار هذا الثائر وتشرّبه قيمة المسؤولية.

أما الانتفاضة المؤقتة، فدوافعها شخصية، ولو كانت على شكل غضب جماعي؛ فهي محدودة بمطالبات شخصية مرتبطة بغضبهم، ولا يمكن أن تتطور إلى القيم الكبرى؛ كالحرية والعدالة والكرامة وغيرها.

والراصد للربيع العربي، لا يخالجه شك أن وقوده هذه القيم الكبرى، ولم يطرح أي مطلب شخصي أو محدود، مما يجعلها في مصافّ النهضات الحضارية بكل تأكيد.

هذه الفروقات ستقودنا إلى سؤال جديد، وهو: إن كانت هذه نهضات حضارية فلماذا تتحرك بكل هذا البطء؟ ولماذا تتعرض لكل هذه الصعوبات؟

الإجابة أن هناك حتميات (سُنن) في التاريخ لا يمكن تفاديها مطلقًا، ولا بدّ أن تواجهها الشعوب بكل آلامها وصعوباتها.

ففي بداية فصل الربيع قد تأتي موجة برد تشعر المرء أن الشتاء لم ينصرم بعد (بياع الخبل عباته)، لكن الحقيقة أن الفصل ربيع حقيقي، ولو مر فيه بضعة أيام تحسر فيها المرء على بيع عباته.

الحتمية الأولى:

هي الحاجة للوقت الذي يستغرق سنينًا وعقودًا، حتى تستكمل الثورة مسيرتها في نهضة حضارية. (ثورة كرومويل) في بريطانيا احتاجت أربع سنوات لحسم الأمر مع الملك، ثم احتاجت عشرين سنة لاستثمار هذا النصر.

الثورة الفرنسية استغرقت عدة سنوات حتى وقفت على قدميها، ثم لم تنضج بشكل كامل إلا بعد عقود. وهذا هو حال الثورة الأمريكية والبلشفية، بل وحتى العباسية على الأمويين.

الحتمية الثانية:

الفوضى المصاحبة لهذه النهضات، والتي تتفاوت من غياب السلطة المركزية إلى حروب أهلية يطول مداها.

فكرومويل في بريطانيا لم يتمكّن من حسم الثورة إلا بعد سلسلة معارك طويلة، ذهب ضحيتها مئات الألوف من القتلى، وهكذا الثورة الأمريكية والبلشفية. أما الثورة الفرنسية، فعانت من فوضى في السلطة، حتى تنبأ روبسبير (الشخصية الأهم في الثورة الفرنسية) بأنّ الشعب الفرنسي سيتمنّى قائدًا عسكريًا مستبدًا يخلصه من هذه الفوضى، وصدقت نبوءتُه عندما احتفى الفرنسيون بنابليون.

الحتمية الثالثة:

تآمر القوى التي تخشى من نزعة الحرية ضد هذه الثورات، بجهد هائل وتضحيات عسكرية ومالية كبيرة؛ لأن في ذلك حماية لكيانها.

وما يجري حاليًا مع الربيع العربي، له سابقةٌ تكاد تكون نسخة منه؛ وهي تآمر ممالك أوروبا ضد الثورة الفرنسية، وتدخلها استخباراتيًا وماليًا وعسكريًا من أجل إعادة الملكية.

ورغم الانتصار العسكري الظاهري لهذه الممالك، إلّا أنّ النتيجة النهائية تحول كلّ أوروبا الملكية للديمقراطية وليس العكس.

الحتمية الرابعة:

وهي فزع قوى لا تخشى من عدوى الحرية، لكن تخشى من آثار نهضة الأمة المتحرّرة.

النموذج الأوضح للتمثيل، هو ما قامت به بريطانيا من محاربة للثورة الفرنسية، رغم أنها سبقت فرنسا إلى الحريات والحقوق.

والسبب إدراك البريطانيين أن فرنسا ستكون أقدر على منافستها حين تتمتع بالحريات والحقوق، من قدرتها على المنافسة وهي في ظلّ ملكية مستبدة.

حاليًا، تحرك الغرب الليبرالي الديمقراطي ومعه إسرائيل ضد ثورات الربيع العربي، كلّه من قبيل هذه الحتمية: فالغرب يخشى من آثار النهضة والتي يدرك الغرب ويعلم أنها ستُخرج العرب من فلكه بالكامل، وستجعل من مصير إسرائيل محتوم الزوال.

الحتمية الخامسة: صعوبة بناء تشكيلة قيادية ناضجة بعد الثورة مباشرةً، وظهور نماذج مختلفة من العجز الإداري والتنظيمي في السلطة تضاعف مشكلة الفوضى.

والسبب في ذلك أنّ هذه الشعوب عاشت تحت أنظمة شمولية تخنق الفضاء العام وتتسلط على الفضاء الخاص، وتمنع بالقوة ظهور بيئة خصبة لإنتاج القيادات المبدعة.

وطُول هذه المدة كفيلٌ بتعويد المجتمع على الاتكال في كل شؤونه على السلطة الشمولية؛ فلا فرق عنده بين إزالة حفرة في شارع فرعي، وبين أزمة في العلاقات الدولية، كلتا القضيتين يقف فيها المجتمع والمواطن الفرد موقف المتفرج ينتظر أن تبادر السلطة لحلّهما.

وفي حال الثورة والخروج من هذا الوضع الخانق، يصبح الثوار كمجموعة تريد قيادة طائرة وصيانتها، وليس بينهم طيارٌ ولا مساعد طيار ولا مهندس طيران ولا حتى فني صيانة.

هذه الصعوبات التي يتعرض لها الربيع العربي دليلٌ آخر على أنّه يحمل ملامح النهضة الحضارية، التي سيكون مآلها نصر هذه الشعوب المستضعَفة، وتمكين قوى الخير والحق لأنْ تتولّى زمام الأمور.

كما أنّه دليلٌ على أن المسيرة طويلة والصعوبات التي ستلاقيها الشعوب لن تنتهي عند انقلاب هنا، أو مجزرة هناك؛ بل هناك مشاكل وأمراض أكبر وأعمق لم تظهر على السطح بعد.

وإذا استحضرنا مبدأ (المؤرخ توينبي) في التحدي والاستجابة؛ فإن هذه التحديات ستزيد الربيع العربي صفاءً وقوةً ومتانةً، والاستجابة لها سوف تنقل هذه الشعوب المستضعَفة إلى مرحلة تفوّق حضاريّ وقيادة بشرية بانت ملامحها، بحمد الله ■

النموذجان التركي والعربي بين الواقع والممكن

زرواق نصير



هـل مـن الموضوعـي الحكم بأن حـزب العدالـة والتنمية قـد أنهى نظريا منظومة حكم الجيش، ولم يبق أمامه إلا عملية التفكيك الفعلي لعقيدته وتحجيم دوره وتحديـد صلاحياتـه بمـا يكفـل منعـه النهائي مـن الفعل السياسـي خـارج الإطـار الدسـتوري والقانوني، وترسـيم الحكـم المدني خيارًا لفكر الدولة ومسـتقبل تركيا السياسـي بمرور الوقت بعد "النصر النهائي" في الانتخابات البلدية الأخيرة؟

وهـل نحـن أمام "نمـوذج إسـلامي" جديد قـادر على التحـول إلى مركز اسـتقطاب إقليمي وربما عالمي في السنوات العشر القادمة، مما سيغير في الأوزان والأحجام، ويشكل منظومة إقليمية جديدة؟

إن إنجـازات التيـار الإسـلامي التركي الذي يتطلع العرب ممن ينشـدون تغييـر أوضـاع مجتمعاتهم وأوطانهم إليها، ويبدون إعجابهم الشـديد به كأنجـح النماذج الإسـلامية في "التغييـر" وأكثرها إبهارًا (فكـرًا ومنهجًا وسـلوكًا) تثيـر أسـئلة واسـتفهامات، وتغـذي جـدلاً بالنظـر إلـى حجـم النجاحـات التـي تحققـت عبـر مسـار نخبة حـزب العدالـة والتنمية، مع تزايـد الاهتمـام بسـبب وضـوح ونجـاح توجهـه الإسـلامي وسـط "بيئة عسكرية علمانية" في الفكر والمنهج والملمح، على مستوى منظومة الدولة وآليات ممارسة الحكم من حوله.

هذا في مقابل النموذج العربي الإسلامي "التائه" الداعي إلى التغيير، وهو يراوح مكانه في ظل مشروع أنظمة "دولة ما بعد الاستعمار" المترهلة أساسًا.

"المكتسـبات الجديـدة مـن رفاهيـة اجتماعيـة وانتعاش اقتصادي سـياحي وتجاري ومالي، واستقرار أمني، مكتسبات كبيرة يصعب على الأتراك التنازل عنها، وهو ما يرفع نسب القبول والارتباط والتكيف مع أفكار الحزب".

فهـي نجاحات متكاملة: أمنيًا وسياسـيًا واجتماعيًـا واقتصاديًا وتجاريًا وثقافيًـا، بفعـل الالتزام الفكـري والانضباط التنظيمـي العالي، فتعاظم الـدور التركـي خارجيًا، كقوة اسـتطاعت أن ترسـخ سياسـيًا واقتصاديًا وتجاريـا قَدمًـا في محيطها الإقليمي كفاعـل محوري، وأن تضع الأخرى فـي المشـهد الدولي لاعبًا مؤثرًا فـي ميزان القوى له صوت مسـموع في صناعة القرار.

وتبقـى الأوراق الداخليـة الجديـدة، مـن رفاهيـة اجتماعيـة وانتعـاش اقتصـادي سـياحي وتجـاري ومالـي، واسـتقرار أمني، مكتسـبات كبيرة يصعـب على الأتـراك التنـازل عنها، مما يرفع نسـب القبـول والارتباط والتكيـف مـع أفكار الحـزب، وهو ما يعني مزيدًا مـن التمدد الاجتماعي وتضاعفًـا لأعـداد الموالين لطرحه، ويضفي على التغيير سـرعة ومرونة فـي الحركـة، بالإضافة إلى تسـهيل عملية الحد من صـراع الهويات بين العرقيات ومكونات المجتمع التركي.

إن المواطن لا تهمه كثيرًا أفكار المسـؤول أو توجهاته السياسـية، بقدر ما ينظر إلى ما يقدمه إليه في شـأنه المعيشـي اليومي، فما ينطبع في ذهنه هو مدى الاهتمام به والاجتهاد في حل مشـكلاته وتسهيل معاملاته، أما الشـعارات فسريعًا ما تضيع في زحمة المطالب، وهو الواقع الذي فهمته نخبة العدالة والتنمية، التي أثبتت مهاراتها الإدارية ونظافة يدها وذمتها ونزاهتهـا فـي تقديم الخدمـات والتوازن في التنميـة خاصة في المناطق الأكثر هشاشة وتهميشًا.

كمـا تعاطـت مع الشـأن المحلـي بحرفية عاليـة، فلم تتجاهل أساسـيات ومطالـب المواطـن ولم تقفز عليها، بـل واجهتها وأقنعته أنهـا قادرة على إدارة شؤونه المحلية اليومية وإيجاد مخارج وبدائل لحلها.

وأما إقليميًا، فستدعم تلك النجاحات خيارات وتوجهاتها الخارجية بعد التحـرر من ضغـوط المعارضـة العلمانية، وسـتقوى مواقفهـا من قضايا ومشـكلات محيطهـا (الثـورة السـورية، القضيـة الفلسـطينية، الأزمـة المصريـة) وتعـزز قيادتهـا ومركزيتهـا للمحور السـني "الجديـد" لتقويته وحمايته وتوثيقه، مع توسيعه إلى مناطق أخرى إن هي نجحت في حسم

إدارة "صراع المركزية" الإقليمي أو ترجيحه لصالحها.
أما دوليًا فإن حاجة أميركا لضبط التحولات والتحكم في المسارات السياسية في المنطقة مع رجال دولة قوية وليس مجرد "حكام" كلها ظروف تخدم المشروع التركي بامتياز، إضافة إلى المصالح الأوروبية الأميركية الضخمة في تركيا اقتصادًا واستثمارًا وتجارة، طبعًا دون إغفال حاجة حلف الناتو غير المتناهية لتوظيف اتفاقية "مونترو" ضد الخصوم الدوليين (في ظل أزمة القرم خاصة) التي ستخرج تركيا من وضعية الابتزاز التي كانت تمارس عليها في ظل حكم الجيش كمجرد ظهير عسكري للحلف، إلى شريك سياسي فاعل كفيل بتغيير معادلة العلاقة.
ولكن كيف صنع الإسلاميون الأتراك الفارق بهذا الحجم بينهم وبين الإسلاميين العرب، فكان التراكم والصعود والقبول مقابل التشتت والسقوط والتوجس؟
بين ثبات الخط ووضوح الوجهة عندهم وبين اضطراب الخط وضبابية الاتجاه عندنا؟
علمًا بأن أوضاع الفريقين متشابهة سياسيًا واقتصاديًا وحتى اجتماعيًا إلى حد كبير مع بدايات المشاركة السياسية المتزامنة تقريبا للفريقين مطلع التسعينيات من القرن الماضي.
"بغض النظر عن الأسباب التي أوصلت تركيا إلى ما وصلت إليه، وكيف انتهت أوضاع العرب إلى ما انتهت إليه، علينا الاعتراف بأن عملية "التغيير" تحتاج إلى "امتلاك" أدوات التغيير بعد "نضوج" هذه الأدوات".
فمن حيث جوهر منظومة الحكم في الجانبين فهو عسكري، يعتمد على النخب السياسية والعلمية والمثقفين والإعلاميين وأصحاب المال والبيروقراطيين والأحزاب، وهي نخب منخرطة تمامًا مع منظومة الحكم، وتدافع باستماتة شديدة لإقصاء المعارضة "الفكرية" من التيارات والجماعات والأحزاب خاصة الإسلاميين، علمًا بأن المؤسسة العسكرية التركية الأكثر تطرفا في مسألة "تقديس" علمانية الدولة وإقصاء اللون الإسلامي من نظيراتها العربية، مع مشكلات وأزمات اجتماعية تكاد تكون متطابقة.
كما انتهت أوضاع المنظومتين إلى الجلوس على هامش المشهد الدولي سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا وعلميًا حتى نهاية الحرب الباردة في الثمانينيات من القرن الفائت (تفكك الكتلة الشرقية ونهاية الحرب الباردة) وبداية التحولات العالمية وطرح قضايا حقوق الإنسان والديمقراطية والتعددية الحزبية واقتصاد السوق، ومعها بدأت مرحلة جديدة تلوح في الأفق وترسم معالم الدعوات إلى "التغيير" تحت عنوان العولمة وإن اختلف في تقييمه والتكيف معه.
بغض النظر عن الأسباب التي أوصلت تركيا (حزب العدالة والتنمية) إلى ما وصلت إليه، وكيف انتهت أوضاع العرب إلى ما انتهت إليه، علينا الاعتراف بأن عملية "التغيير" تحتاج إلى "امتلاك" أدوات التغيير بعد "نضوج" هذه الأدوات.
فالتغيير ليس مجرد دعوة إلى التغيير، بل هو عملية طويلة ومعقدة تحتاج إلى استيعاب دقيق للواقع وآلياته وروابطه وعلاقاته، وفهم كبير لأولويات التغيير ومقوماته وأهدافه، مع وجود نخبة مؤهلة فكريًا وسياسيًا ومنهجيًا وتنظيميًا وأخلاقيًا، تتصف بالالتزام والانضباط الحزبي التنظيمي، والتفاعل الإيجابي مع الناس وواقعهم والنزول إليهم والقرب من حاجاتهم ومشكلاتهم وحسن حساب المسافة الحقيقية الفاصلة بين الواقع والممكن، والفجوة القائمة بين الدعوة إلى التغيير، ومدى قدرات وإمكانات دعاة التغيير، حتى لا يتحول "التغيير" إلى عملية" تدمير" للذات ولمنجزات الوطن واستقراره.
فرغم تشابه المسارات التاريخية للممارسة السياسية، فقد تباينت مآلات الأوضاع كليا بين الفريقين.
لقد عبر "القائد" أردوغان أثناء حديثه في خطاب الانتصار (الانتخابات البلدية ٢٠١٤) وفي لحظة انفلات عاطفي شديد عن استعادة تركيا خطها الزماني الإسلامي، وثقته في النجاح في عملية حركة الإحياء الاجتماعي والتجديد السياسي بهدوء وإن واجهته عقبات حين أهدى "النصر" إلى الأب الروحي لحزبه المرحوم سعيد النورسي الكردي، واستحضر (المنهج) في الأذهان بحديثه عن "الدعوة الأبدية"، واستدعى "روح ومقومات" العمل الإسلامي في "رسائل النور"، مرورًا بالأب العقلي للفكر السياسي المرحوم أربكان الذي استند إلى ميراث النورسي الروحي والتنظيمي، وانتهاء بتقديم فريق عمله على أنه مجرد "خادم" يضع مصلحة شعبه ووطنه على رأس أولويات حزبه بتجرد تام عن "تضخيم الأنا".
"ما أحوج الإسلاميين في العالم العربي، للتعلم من الدرس التركي، إعادة تقييم مفهوم القيادة ومؤهلات النجاح، وإعادة وزن الأحجام، مع ممارسة الكشف الذاتي للمسار السياسي ومدى صلاحية الأدوات ونضجها".
ولعل ذلك هو ما يفسر طبيعة التكوين العقلي والتشكيل الثقافي بين عالمين: تركي يحسن التفاعل المرن مع الواقع ويجدد آلياته ويطور محددات التواصل مع المجتمع والنظام، قادر على التحرر من "القوالب التنظيمية" الجامدة والبالية وإيجاد البدائل، والمراجعة الدورية لحساب المسافة بين الواقع والممكن، والاستعداد الدائم للتعاطي مع المواقف ؛ليضع تصوراته ويهيئ أدواته ويدقق قراءاته (حالة التيقظ والجاهزية)، وعالم عربي يفتقر إلى الاستعداد والقدرة على استيعاب هذه الديناميكية في العمل السياسي التي تنتج صحة قراءة أبعاد الواقع إلى حد كبير.
ما أحوج الإسلاميين في العالم العربي، للتعلم من الدرس التركي، إعادة تقييم مفهوم القيادة ومؤهلات النجاح، وإعادة وزن الأحجام: فكرياً وسياسيًا وأخلاقيًا واجتماعيًا ومعرفياً ونفسيا وعلميًا، مع ممارسة الكشف الذاتي من إعادة تقويم المسار السياسي ومدى صلاحية الأدوات ونضجها، ومراجعة الخيارات لتقف على حقيقة ما انتهت إليه من أوضاع لا تعكس عراقة مدارسها، بدل أن تلقي دائما بإخفاقاتها وتراجعها على "الأنظمة الحاكمة" لأن "التغيير" ينتزع ولا يعطى، وله طرق وأساليب ليست بالضرورة ثورية دموية، وأنه لا نجاح لأي نموذج للتغيير لا تصنعه بيئته وفق آليات وأدوات الواقع نفسه الذي يراد تغييره، علمًا بأن نجاح التغيير في العالم العربي ضرورة ملحة لتركيا لحماية ظهرها السياسي والإمساك بأوراق وضعها الجيوسياسي.
إن انتصار الحرية والعدالة التركي، ليس نتاج قفزة نحو المجهول، إنه ثمرة عمل منظم طويل وشاق قامت عليه نخبة مفكرة تطلب الكثير من الوقت والكثير من الحكمة والكثير من الصبر، وبينها فهم دقيق لروابط ومكونات وأولويات الواقع وتقدير صحيح للمسافة الحقيقية التي تفصل بين الواقع القائم المراد تغييره والممكن القادم الذي تستطيع تحقيقه، ومراجعات عميقة مستمرة للمسار على هدي من معطيات الواقع كما هو، لا كما يقدره "القادة" في أذهانهم.. نعترف بأنه سحر البناء وعبقرية التفكير والقدرة على العطاء ■

بشائر رمضان نصر أم هزيمة؟



د. مصطفى يوسف اللداوي

ليس في رمضانَ هزائمٌ أو نكسـات، ولا ضعفٌ ولا هنات، ولا انكسـارٌ ولا انحدار، ولا ذلٌ ولا مهانة، ولا فرقةٌ ولا خصام، ولا فجورٌ ولا سـفور، ولا صخبٌ ولا نصب، ولا ظلمٌ ولا اعتداء.

فقد عودنا شـهرُ رمضان الكريم منـذ أن فـرض علينا المولى سـبحانه وتعالى صيامَـه، أن يكـون هـو شـهر العـزة والكرامـة، وشـهر الرحمـة والمغفرة، والتراحم والتواد، والجود والكرم والسخاء، وأن يكون هو شهر الانتصارات والفتوحات، والعزة والكرامة، والأنفة والكبرياء، فيه تسـود قيم التسامح والتغافر، والتعاون والإخاء، والعدل والمساواة.

وفيه ترق النفوس، وتهدأ القلوب، وتترطب الألسـن، وتسـتكين الأرواح، بعد أن تصفد الشياطين، وتُغل أيدي المردة المارقين، ولا يكون في الأرض شـياطينٌ توسـوس، ولا أبالسـةٌ من البشـر تخطـط وتتآمر، تجتمـع بليلٍ وتكيدُ بالنهار، بل عبادٌ مكرمون، يذكرون الله وباسمه يتبتلون.

إنها سنة الله في خلقه وفي زمانه لا تتبدل ولا تتغير، فقد كان المسلمون ينتظرون شـهر رمضان ليقينهم أنه شـهر النصر، وفي أيامه تكون العزة، وفـي لياليـه كانـت الزحـوف العظيمـة، والمعـارك الفاصلـة، فـلا ضعفٌ يتسـرب خلاله إلى النفوس، ولا يأسٌ ينسـاب إلى القلوب، بل كان اليقين كله ينشأ في رمضان، ويكبر في لياليه، ويتعاظم كلما اشتد الحر وطالت ساعات الصيام، وكان الصغار قبل الكبار يعرفون أنه شهر العظمة، وشهر القـوة والكرامة، فما هان المسـلمون في أيامـه، ولا هـزموا في ظلاله، ولا نجح العدو في التسلل إليهم مستغلاً صيامهم، أو خواء بطونهم، وضعف أجسادهم، أو حرارة شمسهم، وقيظ نهارهم.

فهـل يكـون شـهر رمضان فـي أعوامنا هـذه امتدادًا لسـنته في السـنين الماضية، فيستعيد فيه العرب والمسلمون قوتهم وعزتهم، وينتصرون على عدوهـم، ويحققـون النصر علـى نفوسـهم، ويصفدون بأيديهم شـياطين الإنـس، ممن يتآمـرون علينا، ويكيدون لأمتنـا، ولا يتمنون لنا الخير، ولا يحبـون لنـا الصـلاح، فيردون كيدهـم إلـى نحورهم، ويبطلون سـحرهم ويتقـون شـرهم، فلا يكون بين العرب والمسـلمين في شـهر الخير عداوةٌ ولا كراهية، ولا تسود فيهم الحروب والنكبات، ولا تظهر بينهم الفواحش والمنكـرات، ولا تطغـى عليهـم الفـتن والمحـن، بـل يتجـاوزون أزماتهـم، ويتمكنـون مـن حل مشـاكلهم، بما يحقق لهـم الأمن والسـلامة والكرامة والسيادة والريادة.

نحـن فـي أمـس الحاجة إلى شـهر رمضان، شـهر الرحمة والإحسـان، شـهر التسـامح والغفران، لنخرج مما نحن فيه من أزمة، ونجتاز بإرداتنا هـذه الضائقـة، ففـي رمضانَ إن صدقـت نوايانا الفرج، وفيـه إن عقدنا العـزم النجـاة والفـوز، فقـد واللـه عصفـت بنـا الدنيـا، وآذت نفوسـنا، وخربـت بلادنا، ودمرت بنياننا، وقتلت رجالنا، وشـردت أهلنا، وشـوهت وجوهنا، وأسـاءت إلى سـمعتنا، ومزقتنا شـيعًا وأحزابًا، وفرقت جمعنا، وشـتت شـملنا، وجعلتنا كالقشة في مهب الرياح، لا وزن لنا ولا استقرار، وكالغريـق فـي البحر، يسـتنجد بكل من يرى، ويلوح بيـده لمن ظن أن على يديه النجاة، ولو كان عدوًا أو متآمرًا.

قلوبنا جميعًا تتعلق برب شـهر رمضان، الـذي فرض علينا صيامه لتزكو نفوسـنا، وتسـمو أرواحنا، أن يمن علينا برحمته وسكينته، فما من أرضٍ للمسـلمين إلا وأصابتهـا يـد البلى والخراب، ولحق بهـا عبث العدا وأمل السـراب، فـأم الدنيا مصر حائرةٌ مضطربة، تمور مور البحار، وتغلي كما المـاء في المرجل، ضـل أبناؤها، وتاه حكماؤها، وأخطأ عسـكرها، وتآمر المفسدون فيها، فأفسدوا على أهل مصر أفراحهم، وأوحوا إليهم بأن ما حققتمـوه ليـس نصرًا، ولا هـو الأمل الذي تنتظـرون، فأدخلوا مصر في غياهب جب لا قعر له، ولا نجاة منه.

وعلـى أبـوابِ الشـهر الفضيـل نذكـر سـوريا، الأرض الطيبـة الحبيبـة، والشـعب الصـادق العزيـز المناصـر، فقـد اكتوى بنـار الفتنـة، ودخل في أتـونِ حـربٍ لا تنتهي، وخاض معارك كالطاحـون، تأكل تفالها إن لم تجد مـا تطحنـه، فحرقت بنارهـا قلوبنا وأكبادنـا، وأوجعت نفوسـنا، وأدمت عيونـنـا، ومـا زالت تجري بنا نحو خطـوبٍ لا نعرفها، ومصائرَ لا ندركها، ونهايةٍ نخاف منها ونخشى على أنفسنا من ويلاتها، وهي التي كانت دومًا أرض نصرةٍ وبلاد إسناد، تقاتل دفاعًا عن قضايا أمتها، وتضحي بأعظم رجالها نصرةً عن سيادة الأمة وكرامتها، فهي بلاد سليمان الحلبي وجول جمال وعز الدين القسام، ومن قبل هـي أرض العز بن عبد السلام.

أمـا فلسـطين فلهـا في كل رمضـان مع الأمـة قصة، ومع شـعبها حكاية، ومـع عدوهـا معركةٌ وملحمةٌ، فهي جرحٌ نـازف، وألمٌ دائم، ومعاناةٌ باقية، لا تنتهـي خطوبهـا، ولا تتوقـف فصولهـا، ولا يمتنع عدوهـا عـن إيذائها، وإلحـاق الضـرر بها وبأبنائها، وقـد كانت قبل المحن، ومـا زلت بعد الدم والألـم، تكبـر معاناتها ولا تصغـر، وتتعاظم تضحياتهـا ولا تقل أحزانها، وهـي التـي كانت تتطلع إلى أمتها، وتأمل في رجالها، وتشـعر بأنهم معها يسـاندونها، وينصرونهـا ويقفون إلى جانبهـا، ولا يتأخرون عن نصرتها، والتضحيـة مـن أجلها بأقصى ما يملكـون، وبأعز ما يقتنـون، فهي أولى القبلتين، التي يتطلعون إلى تحريرها واستعادتها، وقد أعادوها يومًا في رمضـان، وفيـه يأملون أن يسـتعيدوها مـن جديد، ولكن همـوم بلادهم، وشجون شعوبهم قد شغلتهم وأبعدتهم.

لعلنا لا نعرف قيمة شهر رمضان، ولا ندرك فضله وأثره وقدره، فهو عند اللـه عظيم، وعند رسـوله الكريم شـهر الخيرات والإحسـان، أما عدونا فهـو يعرف هذا الشـهر، ويدرك قيمته وأثره، وقد اكتـوى بنار القوة فيه، وعانـى مـن إحسـاس عزة المسـلمين خلاله، ففيه سـجل المسـلمون عليه

أعظم انتصاراتهم، وخاضوا أكبر معاركهم، وسطروا بدمائهم الزكية، وعروقهم العطشى، أعظم صفحات البطولة والتحدي، ما جعل العدو يخشى قدوم شهر رمضان، ويتهيأ له قبل حلوله بفترة، مخافة أن ينال منه العرب والمسلمون، وينتزعوا منه ما اغتصبه وسرقه وصادره منهم.
هل نؤوب في شهر رمضان الفضيل، وننتصر على أنفسنا، ونرحم شعوبنا وأجيالنا، ونوقف حمامات الدم في بلادنا، وننهي الأزمات التي لحقت بنا، وننتقل بشعوبنا نحو الحرية والكرامة، فلا نغتصب منهم السلطة، ولا نلهب ظهورهم بسياطها، ولا ننقلب على إرادتهم، ولا نتآمر على مصائرهم، فيكون شهر رمضان في عامنا هذا شهر الانتصار الأكبر، والفتح العظيم؟ إذ لا انتصار أكبر من استعادتنا لكرامتنا، وامتلاكنا لقرارنا، واستقرار واستقلال بلادنا وأوطاننا ■

واحة الشعر

من شعر عبد الله بن رواحة رضي الله عنه:

لقد جمع الأحزاب حولي وألبوا
قبائلهم واستجمعوا كل مُجمعِ
وكلهم مبدٍ للعداوة جاهد
عليّ لأني في وصال بمضبعِ
وقد جمعوا أبناءهم ونساءهم وقربت
من جذع طويل ممنعِ
إلى الله أشكو غربتي ثم كربتي
وما أرصد الأحزاب لي عند مصرعي
فيارب صبرني على ما يراد بي
فقد بضعوا الحمى وقد يأس مطمعي
وقد خيروني الكفر والموت دونه
قد هملت عيناني من غير مجزعِ
وما بي حذار الموت إني لميت
ولكن حذاري جسم، ار ملفعِ
ولست أبالي حين أقتل مسلمًا
على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزعِ
ولست بمبدٍ للعدو تخشعًا
ولا جزعًا إني إلى الله مرجعي

من شعر د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل

أَهْلًا وَسَهْلًا بِشَهْرِ الصَّوْمِ وَالذِّكْرِ
وَمَرْحَبًا بِوَحِيدِ الدَّهْرِ فِي الأَجْرِ
شَهْرُ التَّرَاوِيحِ يَا بُشْرَى بِطَلْعَتِه
فَالْكَوْنُ مِنْ طَرَبٍ قَدْ ضَاعَ بِالنَّشْرِ
كَمْ رَاكِعٍ بِخُشُوعٍ لِلإِ لَهِ وَكَمْ
مِنْ سَاجِدٍ وَدُمُوعُ العَيْنِ كَالنَّهْرِ
فَاسْتَقْبِلُوا شَهْرَكُمْ يَاقَوْمُ وَاسْتَبِقُوا
إِلَى السَّعَادَةِ وَالخَيْرَاتِ لاَ الوِزْرِ
إِحْيُوا لَيَالِيهِ بِالأَذْكَارِ وَاغْتَنِمُوا
فَلَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ فِيهِ مِنْ دَهْرِ
فِيْهَا تَنَزَّلُ أَمْلاَكُ السَّمَاءِ إِلَى
فَجْرِ النَّهَارِ وَهَذِيْ فُرْصَةُ العُمْرِ

شَهْرٌ تَلأْلأَ بِالْخَيْرَاتِ

د. عبد الرحمن بن عبد الرحمن شميلة الأهدل

أَقْبَلْتَ تَزْهُوْ وَنُوْرُ الْوَجْهِ وَضَّاءُ ... فَمَا ارْتَأَتْ فِيْ رُبَاكُمْ قَطُّ ظَلْمَاءُ
أَهْلًا بِشَهْرٍ حَلِيْفِ الْجُوْدِ مُذْ بَزَغَتْ ... شَمْسٌ وَصَافَحَ زَهْرَ الرَّوْضَةِ الْمَاءُ
شَهْرٌ تَلأْلأَ بِالْخَيْرَاتِ فَانْهَزَمَتْ ... أَمَامَ سَاحَتِهِ الشَّمَّاءِ ضَرَّاءُ
فِيْهِ اسْتَقَالَتْ فُلُوْلُ الشَّرِّ مِنْ خُدَعٍ ... وَكُبِّلَتْ فَسَرَتْ فِي النَّاسِ سَرَّاءُ
تِلْكَ الْمَسَاجِدُ بِالتَّسْبِيْحِ آهِلَةٌ ... كَأَنَّهَا بِالْهُدَى فَجْرٌ وَأَضْوَاءُ
وَالصَّالِحُوْنَ وَمَنْ يَقْفُوْ مَآثِرَهُمْ ... بَدَتْ عَلَى وَجْهِهِمْ بُشْرَى وَلأْلاَءُ
وَالْكُلُّ فِيْ طَرَبٍ يَشْدُو بِمَقْدَمِهِ ... كَأَنَّهُ مِنْ جَمَالِ الرُّوْحِ حَسْنَاءُ
يَا أُمَّتِي اسْتَقْبِلُوا شَهْرًا بِرُوْحِ تُقًى ... وَتَوْبَةِ الصِّدْقِ فَالتَّأْخِيْرُ إِغْوَاءُ
تُوْبُوْا إِلَى رَبِّكُمْ فَالذَّنْبُ دَاهِيَةٌ ... ذَلَّتْ بِهِ أُمَمٌ وَاحْتَلَّهَا الدَّاءُ
أَلَمْ نَجِدْ مِنْ عُدَاةِ الدِّيْنِ كُلَّ أَذًى ... وَالْقُدْسُ مُغْتَصَبٌ فَاشْتَدَّ بَلْوَاءُ
والْحَرْبُ تَطْحَنُ أَكْبَادًا وَتَعْجِنُهَا ... وَنَحْنُ لَمْ نَرَهَا فَالْعَيْنُ عَمْيَاءُ
أَلَمْ يُحَلِّقْ بِنَا جَدْبٌ فَزَلْزَلَنَا ... وَكَمْ أَحَاطَ بِنَا ضُرٌّ وَلأْوَاءُ
وَكَمْ أَتَتْ عِبَرٌ وَالْقَوْمُ فِيْ هَزَلٍ ... إِعْصَارُ قُوْنُو كَفَى كَمْ مَاتَ أَبْنَاءُ
أَمَّا تَسُوْنَامُ فِيْهِ كُلُّ فَاجِعَةٍ ... وَكَمْ وَكَمْ عِظَةٍ وَالأُذْنُ صَمَّاءُ
رَبَّاهُ عَفْوًا وَتَوْفِيْقًا وَمَغْفِرَةً ... وَجُدْ بِنَصْرٍ فَإِنَّ النَّصْرَ عَلْيَاءُ
وَصَلِّ رَبِّ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ ... مَا غَرَّدَتْ فَوْقَ غُصْنِ الْبَانِ وَرْقَاءُ
وَالآلِ وَالصَّحْبِ وَالأَتْبَاعِ قَاطِبَةً ... مَا لاحَ بَرْقٌ تَلا رَعْدٌ وَأَصْدَاءُ

شعر لابن الجوزي:

الصّومُ جُنّةُ أقوامٍ من النّار
والصّوم حصنٌ لِمَن يخشى من النّار
والصّوم سترٌ لأهل الخير كلّهمُ
الخائفين من الأوزار والعارِ
والشّهرُ شهرُ إلهِ العرش مَنّ به
ربٌّ رحيمٌ لثِقل الوزر ستّارِ
فصام فيه رجالٌ يربحون به
ثوابَهم من عظيم الشّأن غفّارِ
فأصبحوا في جِنان الخُلد قد نزلوا
مِن بين حورٍ وأشجارٍ وأنهارِ

عقيدة المسلم (٩)

الولاء والبراء: معناه وضوابطه

الشيخ فايز الصلاح

الولاء: مصدر وليَ بمعنى قرب منه، والمراد به هنا القرب من المسلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم على أعدائهم والسكنى معهم.

والبراء: مصدر برى، بمعنى قطع. ومنه برى القلم بمعنى قطعه. والمراد هنا قطع الصلة مع الكفار فلا يحبهم ولا يناصرهم ولا يقيم في ديارهم إلا لضرورة.

الولاء والبراء من حقوق التوحيد: يجب على المسلم أن يوالي في الله وأن يعادي في الله وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم ويعادي الكافرين ويبغضهم ويتبرأ منهم. قال تعالى في وجوب موالاة المؤمنين: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٥ - ٥٦). وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: ٥١). وقال: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة: ٢٢).

ويتضح من هذه الآيات الكريمة وجوب موالاة المؤمنين وما ينتج عن ذلك من الخير ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من شر.

وإن للولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عرى الإيمان. ومعناه توثيق عرى المحبة والألفة بين المسلمين ومفاصلة أعداء الإسلام. فقد روى ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَى الإِيمَانِ الْمُوَالاةُ فِي اللَّهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ» أخرجه الطبراني في الكبير، والبغوي في شرح السنة.

والحب في الله: محبة الشخص لأجل الله، بسبب تقواه وإيمانه.

والبغض في الله: بغض الشخص لأجل الله، بسبب معصيته أو كفره.

الفرق بين المداهنة والمداراة وأثرهما على الولاء والبراء:

المداهنة: هي ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومصانعة الكفار والعصاة من أجل الدنيا والتنازل عما يجب على المسلم من الغيرة على الدين. ومثاله الاستئناس بأهل المعاصي والكفار ومعاشرتهم وهم على معاصيهم أو كفرهم وترك الإنكار عليهم مع القدرة عليه. قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (المائدة: ٧٨ - ٨٠).

المداراة: هي درء المفسدة والشر بالقول اللين وترك الغلظة أو الإعراض عن صاحب الشر إذا خيف شره أو حصل منه أكبر مما هو ملابس له. كالرفق بالجاهل في التعليم، وبالفاسق في النهي عن فعله وترك الإغلاظ عليه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل ولا سيما إذا احتيج إلى تأليفه. فالمداراة لا تتنافى مع الموالاة إذا كان فيها مصلحة راجحة من كف الشر والتأليف أو تقليل الشر وتخفيفه، وهذا من مناهج الدعوة إلى الله تعالى. ومن ذلك مداراة النبي ﷺ للمنافقين في المدينة خشية شرهم وتأليفًا لهم ولغيرهم.

وهذا بخلاف المداهنة فإنها لا تجوز إذ حقيقتها مصانعة أهل الشر لغير مصلحة دينية وإنما من أجل الدنيا.

حكم موالاة العصاة:

إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والنصرة والثواب لأصل الإيمان الذي فيه، وبقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر والمعصية.

هل يجوز التعامل مع غير المسلمين في الأمور الدنيوية؟ وهل يؤثر على الولاء والبراء؟

دلت النصوص الصحيحة على جواز التعامل مع غير المسلمين في المعاملات الدنيوية كمسائل البيع والشراء والإيجار والاستئجار والاستعانة بهم عند الحاجة على أن لا يضر بالمسلمين. فقد (اسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدِّيلِ هَادِيًا خِرِّيتًا) أخرجه البخاري، والخرِّيت: الخبير بمعرفة الطريق.

ورهن النبي ﷺ درعه عند يهودي في صاع من شعير وأجر علي رضي الله عنه نفسه ليهودية يمتح (أي يستخرج) لها الماء من البئر فمتح لها ست عشرة دلوًا كل دلو بتمرة. وقد استعان النبي ﷺ باليهود الذين كانوا في المدينة في قتال المشركين. واستعان بخُزاعة ضد كفار قريش ■

﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾
قيلت ليوسف عليه السلام مرتين: وهو في السجن، وهو عزيز مصر.
هكذا المحسن يبقى محسنًا، لا تغيره الدنيا ولا الظروف.

الصيــــام(*)

حكم الصوم ومنزلته في الدين:

صيام شهر رمضان واجب على كل مسلمٍ ومسلمة؛ وهو أحد أركان الإسلام.

شروط الصوم:

١- الإسلام.

٢- النيَّة.

٣- الوقت: من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

٤- التكليف: فلا يجب الصوم على الصغير والمجنون، ويُؤمر الصبي بالصوم إن أطاق ليعتادَ عليه.

٥- الإقامة: فلا يجب على المسافر.

٦- القدرة على الصوم: فلا يجب على العاجز عن الصوم لكبر سِنِّه أو لمرض.

كما يجب على الشخص أن ينوي الصيام من الليل أي قبل أذان الفجر، ويكفي لصيام رمضان نيةٌ واحدةٌ من أول الشهر، ولا يُشترط تبييت النية كل ليلة، ومن تَسَحَّرَ ليلًا فقد حقق نية الصيام.

ومن كان عليه حدثٌ أكبرٌ من الليل، فيجوزُ له تأخيرُ الاغتسالِ إلى ما بعدَ آذن الفجر، وتقديمُ السحور عليه، وكذلك والحائضِ والنفساءِ إذا طهرتا قبل الفجر.

أعذار الناس في الصوم:

١- المريض: مَن تعذَّر عليه الصوم، كالكبير في السن، فلا يلزمه الصوم، ويُطعِم عن كل يوم أفطره مسكينًا.

وإن كان لا يتعذر عليه الصوم، كالكبير في السن وصحته جيدة، أو المصاب بالصداع أو غيره: فيجب عليه الصيام.

وإن شقَّ عليه، فيكره له الصوم.

٢- الحائض والنفساء: يحرم الصيام عليهما، ولا يصح منهما، لكن يجب عليهما قضاء ما أفطرتاه من رمضان.

٣- الحامل والمرضع: فإن خافتا على نفسيهما من الضرر، أو على نفسيهما وطفليهما: أفطرتا وقضتا، وإن خافتا على طفليهما فقط: أفطرتا وقضتا، وأطعمتا عن كل يوم مسكينًا على الصحيح من أقوال أهل العلم.

سنن الصوم:

١- السحور.

٢- تعجيل الفطر.

٣- الإفطار على الرُّطب، فإن لم يجد فعلى تمر، فإن لم يجد فعلى ماء.

٤- الدعاء عند الإفطار، بقول: «ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الْأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ» رواه أبو داود.

٥- الاجتهاد في العبادة: من الحفاظ على الصلوات الخمس، وذكر الله، وقراءة القرآن، وقيام الليل.

٦- الاجتهاد في البعد عن الأخلاق الذميمة: والكف عما يتنافى مع شهر الصيام من المعاصي.

من مكروهات الصوم:

١- المبالغة في الاستنشاق.

٢- جمع الرِّيق وابتلاعه، أما بلع الريق بصورة عادية فلا شيء فيه.

مبطلات الصوم:

١- الأكل والشرب عمدًا.

٢- التغذي بما كان بمعنى الأكل أو الشرب، مثل الإبر أو الحقن المغذية التي يُستغنى بها عن الأكل والشرب، ويدخل في ذلك ما يُستغنى به عن الأكل والشرب وإن لم يكن مُغذيًا، كالتدخين.

٣- الجماع.

٤- إنزال المني متعمدًا، فإن احتلم أثناء نومه فلا شيء عليه، وصيامه صحيح.

٥- التقيؤ عمدًا.

٦-خروج دم الحيض أو النفاس.

٧- الحجامة والتبرع بالدم، وقيل لا تفطر، والأفضل الابتعاد عنها.

ما لا يبطل الصوم:

١- الأدوية التي ليس فيها تغذية: كالإبر في الوريدِ أو العضل للعلاج، ونقط الأنف والأذن والعين -ولو أحسَّ بطعمها في الفم- وكذلك التحاميل، والحقن الشرجية، والغسولات المهبلية.

٢- الاغتسال والسباحة والنزول إلى الماء والانغماس فيه لتخفيف شدة الحر والعطش.

٣. شمُّ الروائح: كالعطور، ورائحة الطعام.

٤. استعمال السواك، وفرشاة الأسنان، ومضمضة الفم.

ما يترتب على فعل مبطلات الصوم:

١- من فعلها ناسيًا أو جاهلًا حكمها: فلا شيء عليه، ويتم صومه، وصومه صحيح.

٢- من فعلها متعمدًا دون عذر، فيفسد صوم ذلك اليوم، ويجب عليه أن يقضيه بعد رمضان، ويجب عليه أن يتوب.

ويزيد الجماع بوجوب الكفارة، وهي: عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا.

٣- الحائض أو النفساء: يفسد صومهما ولا شيء عليهما، وعليهما القضاء بعد رمضان.

صوم التطوع:

أفضلُهُ صوم يوم وفطر يوم، ثم صيام الاثنين والخميس، ثم صِيام ثلاثة أيام من كل شهر، وأفضلها أيام البيض (١٣و١٤و١٥) من كل شهر قمري، وصوم أكثر شهر المحرم وشعبان، وصوم يوم عاشوراء، ويوم عرفة، وستة أيام من شهر شوال.

صومٌ مكروه:

إفراد شهر رجب، ويوم الجمعة، والسبت بصيام، وصيام يوم الشك، وهو آخر يوم من شعبان إذا لم يُعلم هل هو رمضان أم لا.

صومٌ محرم: صيام يوم عيد الفطر، ويوم عيد الأضحى، وأيام التشريق إلا من عليه دم تمتع أو قِران للحاج إذا لم يستطع ذبح الهَدي.

(*) مختصر من كتاب فوائد مختصرة من كتاب (الفقه الميسَّر)، إصدار مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.

أخـــلاق وآداب

حرب على الإحباط

جمال الهميلي

«الله أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، .. الله أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ .. الله أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ».

تلك الكلمات قالها حبينا وقدوتنا رسول الله ﷺ في غزوة الخندق في قصة مشهورة معروفة، فلماذا اختار الرسول ﷺ هذا التوقيت بالذات للبشارة بفتح تلك الدول؟ لماذا في غزوة اجتمع فيها ما لم يجتمع في تاريخ العرب، فلأول مرة يجتمع أكثر من ١٠,٠٠٠ (عشرة آلاف) مقاتل يحيطون بالمدينة المنورة من أجل القضاء على الدعوة المحمدية، هذا من الخارج، أما الداخل فإن اليهود قد نقضوا العهد وأصبح حال المسلمين كما وصفه الله في كتاب العزيز: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ (الأحزاب: ١٠)، حتى قال أحد المنافقين: «أحدنا لا يأمن أن يذهب لقضاء حاجته، ومحمد يعدنا بكنوز كسرى وقيصر»؟!

لعل السبب -والله أعلم- هو تحطيم روح الانهزامية التي يمكن أن تتسلل إلى قلوب المؤمنين، وكأنه يقول لهم: العرب شأنهم أقل وأنكم ستنتصرون عليهم ليس هذا فقط بل وستفتحون أعظم دولتين في العالم آنذاك! أية بشرى وأي روح معنوية عالية؟ وقد حصل ذلك فقد رأى المؤمنون انهزام العرب وفتح فارس والروم واليمن.

إن القلوب المؤمنة المرتبطة بخالقها لا تعرف اليأس و لا تستجيب لدعاوى الإحباط مهما كان الموقف، وأيا كانت الأحداث، وتلك سنة ربانية لا تختلف باختلاف الأزمان، فهذا موسى يقول الله عنه: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (الشعراء: ٦١-٦٢)، وحين تعرض محمد ﷺ إلى حادثة الإفك جاءه القرآن ليقول له: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (النور: ١١).

وهذا رسول الله ﷺ يقول: «إذا قال الرَّجلُ: هلك النَّاسُ، فهو أهلكُهم» رواه مسلم، وفي موقف آخر يقول: «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» رواه البخاري، أتدري لماذا خصَّ أحدًا بالذات؟

لعل أحد الأسرار -والله أعلم- أن العرب كانت تتشاءم من المكان الذي يحدث فيه مكروه لهم وفي جبل أحد تعرض المسلمون لموقف سماه الله مصيبة: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا﴾ (آل عمران: ١٦٥)، فمن أجل محاربة التشاؤم وتحطيمه في النفوس قال عنه: «يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»، والله أعلم.

وفي زمننا الحاضر ومن التقدم التكنولوجي وعصر الاتصالات والمعلومات، نرى العجب العجاب، فاليأس والتشاؤم ينتشران انتشار النار في الهشيم بين المسلمين، فلا تكاد تجلس في مجلس إلا ويُذكر اليأس والرسائل السلبية، لدرجة أنه أصبح فاكهة المجلس ومدار الحديث فإذا أردت أن يتحدث الناس فما عليك إلا ذكر موقف أو قصة فيها نوع من اليأس فتنفتح شهية الآخرين فينهمل عليك المطر غزيرًا فلا تكاد تستطيع أن توقف المتحدثين.

وصورة أخرى وهي ما يُتداول في النت عبر الإعلام القديم والجديد، فارجع إلى أرقام المشاهدات الكثيرة العدد (ربما أكثر من مليون مشاهد) تجد أن غالبها ينتقد أو يتحدث عن سلبيات هنا وهناك وبأسلوب ساخر، وفي المقابل ابحث عن المواد الإعلامية المفيدة وهي كثيرة -ولله الحمد- تجد أن عدد مشاهديها أقل بكثير، وهنا تساءلت لماذا يُقبل الناس وبشغف على الرسائل السلبية المحبطة -غالبًا- بينما لا يكون الإقبال على الجوانب الإيجابية إلا قليلاً؟ لاشك أن أسباب ذلك كثيرة ومتعددة وبعد طول تأمل تيقنت أن هناك سببين هما الأهم والله أعلم، وهذان السببان هما:

١- «**التملص**» وهو فن يجيده الكثيرون، بل تتقنه النفس البشرية -غالبًا- دون الحاجة إلى تدريب، وأعني به التملص من المسؤولية وإخراج الذات من ذلك، فالرسائل السلبية تُعطي إشارة لمستمعها أنه غير خارج نطاق المعاتبة فالواقع نتيجة أخطاء غيره فيكون هو كما في المثل المعروف «يخرج مثل الشعرة من العجين»، و قد كشف لنا القرآن الكريم إحدى وسائل التعامل مع الأخطاء فقال عن غزو أحد: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران: ١٦٥)، فمن المهم البحث عن أسباب المشكلة «أَنَّى هَذَا» ومن الأهم عدم تعليق أخطائك على غيرك: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾.

٢- «**الكسل**» النفس البشرية عمومًا تميل إلى الكسل أكثر منها إلى العمل، فغالب الناس يرغب في الراحة والدعة وينزعج لما يُطلب منه العمل، فالمجاهدة الأصعب غالبًا في العمل وليس في الكسل، ومن هنا كان أحد أنواع الصبر (الصبر: حبس النفس على ما تكره) الصبر على الطاعات لأنها مباشرة أقوال وأعمال فيما تكره النفس (إلا من رحم الله)، فالرسائل السلبية تدفع العبد نحو الكسل لذا فهو يتقبلها برغبة، لذا لا تجد -غالبًا- من يُكثر الاستماع إلى الرسائل السلبية أنها تُحركه نحو العمل، بل غالب ما نراه أن تُقعده عن البذل والعطاء.

وقبل الختام لابد من التنبيه أننا لا ندّعي الكمال ولا يوجد مجتمع بلا أخطاء، ولا نعني عدم الحديث عن الأخطاء، ولكننا نقصد كثرة الانشغال بعرض الواقع السيئ مع ضعف المبادرات التصحيحية وبالذات التصحيح على المستوى الشخصي الذي يدخل في دائرة الممكن، حتى رأينا الكثير ممن ينشغل عن عيبه بعيوب الآخرين، وقد جاء في الأثر: «من علامات توفيق الله للعبد أن يشغله بعيوبه عن عيوب الآخرين، ومن علامات خذلان الله للعبد أن يُشغله بعيوب الآخرين عن عيبه» وليكن شعارنا «انشغل بما يجب أن تعمل لا بما يجب أن يُعمل»، ولعلك تسأل ما الذي يجب أن أنشغل به؟ أقول: الاستعداد والتهيئة وإعداد الإجابة عن الأسئلة الخمسة التي ذكرها الناصح لنا والمشفق علينا والمبعوث رحمة للعالمين ﷺ حيث قال: «لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِكَ فِيمَا أَفْنَيْتَ، وَعَنْ شَبَابِكَ فِيمَا أَبْلَيْتَ، وَعَنْ مَالِكَ مِنْ أَيْنَ كَسَبْتَهُ وَفِيمَا أَنْفَقْتَهُ، وَمَا عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ» السلسة الصحيحة للألباني ٩٤٦ ■

متى الراحـــة؟!!

خالد روشة

الأزمـة الحقيقيـة التـي يمـر بهـا اصحـاب الرسـالات هـي خلودهم للراحـة ، وغفلتهم عن رسـالتهم ومسـئوليتهم، وبحثهـم عما يشـغلهم بعيدًا عنها .

أزمتهـم الحقيقيـة هـي سـعيهم وراء المغريـات والملهيـات من متاع الحيـاة، فتثقل بهم حياتهم، وتزيد أوزان أجسادهم، فلا يستطيعون الركض فـي ميادين المسـابقة ... وهـل رايت يوما خيلا سمينا يسابق؟!

إن ما وصفته في السـطور السـابقة لهو الثلمة التي ثقبت جدران الدعاة إلى الله، وهي سـبب السـوس الـذي نخـر في جسـدهم، فـزاد وكثر وه لا يلقـون لـه بـالاً، حتى فوجئوا بأجسـادهم وأفكارهـم قـد أصابتهـا الهشاشـة ونخرهـا السوس من الداخل..!

إن حياة أصحاب الرسـالات والدعوات ليست ملـكًا لهم، بل إنها مسـئولية تحيطهـم، وواجب ينتظرهم في كل وقت هم فيه قادرون على أداء أمانتهم في نشر الهدى والإيمان .

إننـي أتحـدث عـن عاطفـة جياشـة، لا ترتبط بشـأن دنيوي مباح، بل برغبة في كسب الثواب والأجـر مـن اللـه سـبحانه في كل وقـت وحين، تلـك العاطفة مصدرها القلب العامر بالإيمان، والمضـاء بنـور التوحيـد، والنابـض بمعانـي الإخلاص والاتباع والتجرد .

إن الدقائـق والسـاعات والأيـام المتاحة للدعاة إلـى الله في أعمارهم أقصـر كثيرًا من أن تفي بغرض مسـؤوليتهم وواجباتهم في إبلاغ الهدى وتعليم الخير وأداء الأمانة .

سـئل ابن الجوزي يومًا : هل يجوز لي أن أفسـح لنفسـي في مبـاح الملاهي؟ فقال: عند نفسـك من الغفلة ما يكفيها .

ونقل الماوردي قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الراحـة للرجال غفلة»، وقال الشـافعي: «طلـب الراحـة فـي الدنيـا لا يصـح لأهـل المروءات.»

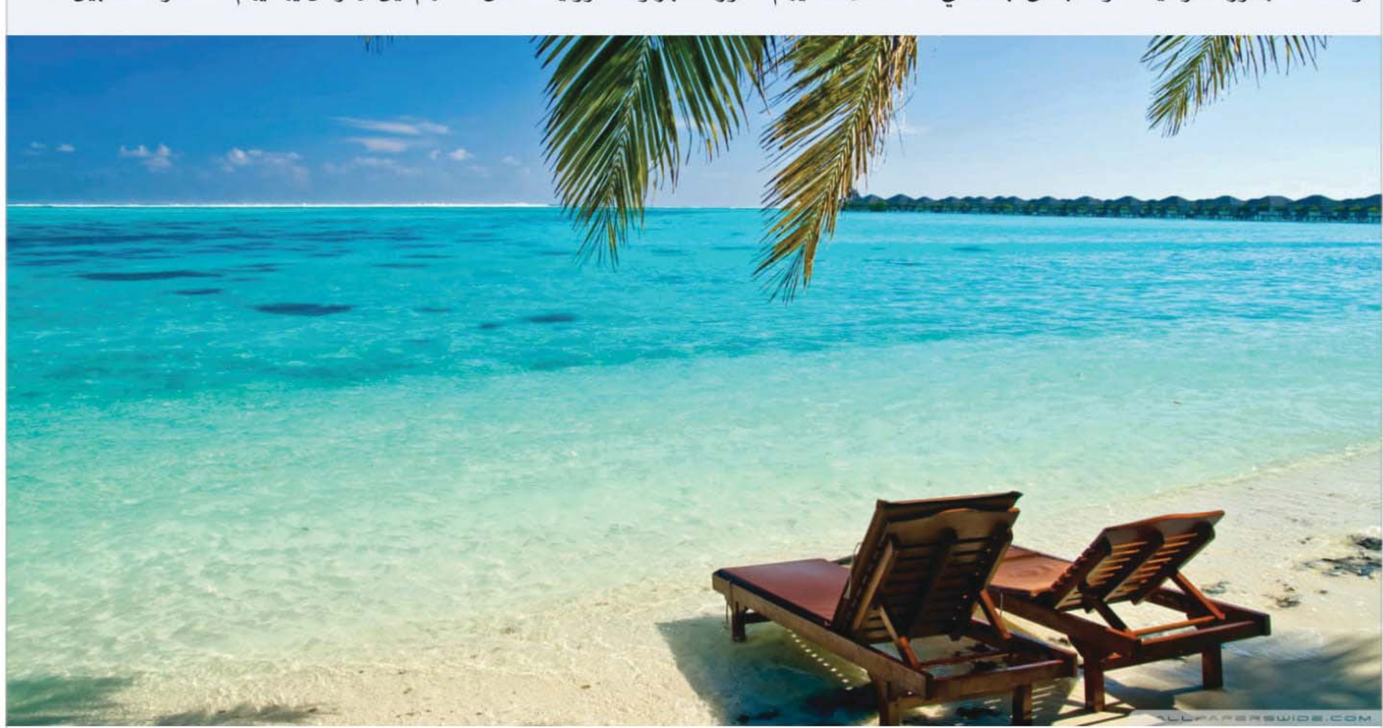
ولعل سـؤالاً يتردد على ألسـنة القـراء لمثل تلك الكلمـات الداعيات إلى البـذل والعمل والعطاء للـه، فيقول: «وفي ماذا اشـغل نفسـي ، وبماذا أظـل هكـذا متوقدًا، ومـا الداعي إلـى كل هذا الوصـف الذي تصفونـه للداعية كأنه ماكينة لا تهدأ »؟!.

والإجابـة سـهلة ومعلومـة، فالدعـاة إلـى اللـه والعلمـاء هم ملح الأرض الـذي يبقيها ناضجة فـلا تفسـد وهم وقـود همة هـذا الديـن، وهم مصابيـح الهـدى المضيئـة للنـاس سـبلهم فـي دياجيـر الظـلام، وهـم قادتهـا فـي مدلهمـات الفـتن، فعليهم الدور الأكبر والمسـؤولية الأثقل في كل ساعة من حياتهم .

فعيشـهم يلفـه الزهـد والتقلـل فـي الزخـرف والمتـاع، وقلوبهـم عامـرة بالإيمـان، وألسـنتهم لاهجة بذكر الله في كل وقت وحين، أملهم نشر الخيـر، وتبليغ العلم، وهدايـة الخلق، وجهدهم مبـذول في معونة المحتاج، ومسـاعدة القاصر، وإغاثـة الملهوف، وسـعادتهم في نشـر البسـمة على الوجوه الحزينة .

يفتحـون أبـواب الأمـل أمـام العصـاة ليعـودوا إلـى طريق التوبـة والعودة إلى اللـه ، ويربطون قلـوب النـاس بربهـم، ويعلمونهـم التـوكل عليه سـبحانه، فيرزقهـم رزقًـا حسـنًا مبـاركًا فيـه، ويقومون سـبيل الناس حتى يسـيروا في طريق الصالحين الكبار من انبياء الله عليهم السـلام وأتباعهم بإحسـان، فيزيلون الجهل، ويطردون الشـيطان، ويحاربون اليـأس والقنوط، ويبثون التفـاؤل، ويحيـون موات النفـوس بتعليمها أمر الله سـبحانه ومواضع مرضاته، ويعينونها على التطهر من الدنس والخبث والفسوق .

يصبـرون علـى النـاس ويعلمونهـم التصبُّـر، ويتلطفـون معهم أثنـاء رحلتهم إلى الاسـتقامة، ويرفقـون بهـم فـي كل خطـوة مـن خطـوات الطريق، يتحملون الأذى منهم بينما هم يدعون لهم ليل نهار أن يهديهم الله سواء السبيل ■



إن الله قد كفى وأحسن

رقية القضاة

«إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ»، «مَنْزِلُنَا غَدًا إِنْ شَاءَ اللهُ بِخَيْفِ بَنِي كِنَانَةَ، حَيْثُ تَقَاسَمُوا عَلَى الْكُفْرِ».

تلك كانت أوامر النبيّ ﷺ، وقد تذكّر حصار قريش له في شعب بني هاشم في الخيف من منى، ثلاث سنين من الحصار والمقاطعة ظلما وعدوانا أن يقول ربي الله.

ويعزم على المسير إلى هوازن، في خطوة متمّمة لفتح مكة، وقد كسرت شوكة الشرك فيها، وآن الأوان لتطهير جزيرة العرب من دنس الأوثان، ووباء الجاهلية فكان يوم حنين ويوم حنين تجلّى الصبر في أروع صوره والعدل في أسمى مواضعه، والبطولة في أبهج حالاتها، فرسول الله يطلب من صفوان بن أمية أن يعيره سلاحا، وهو حديث عهد بالإسلام فيقول: صفوان: يا رسول الله أعارية مؤدّاة؟ فيقول ﷺ: «عاريَّةٌ مؤدَّاة». لم يغصبه ماله وقد احتاجته الأمة بل لقد أراد أن يعوّضه ما فقد من أسلحته بعد المعركة، فأبى رضي الله عنه ويوم حنين ينظر المسلمون بفرح وعجب إلى كثرتهم بعد قلّة، وقوّتهم بعد ضعف، ويكاد العجب يتحول إلى هزيمة نكراء لولا رحمة الله بهم: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾، فالنّصر هبة الله للمخبتين، ومنّة الله على المجاهدين ووعد الله للصّابرين، ولقد كان أصحاب رسول الله كذلك، ولكنّه الإعجاب الفرح بالكثرة، فرح بها أصحابها ظنّا منهم أنّها إحدى عوامل النّصر، ولم تكن يوما مقياس نصر، فكان الدّرس الرّباني الحكيم ويوم حنين يعلوا هتاف النبي بأصحابه وقد ولّو مدبرين: «يا للمهاجرين، ياللمهاجرين، يا للأنصار، يا للأنصار»، ويجيب الصحابة وقد ثابوا إلى أنفسهم: «لبيك يا رسول الله».

ويرتجز النبيّ ﷺ المقبل في معركته غير مدبر «أَنَا النَّبِيُّ لَا كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ، اللهُمَّ نَزِّلْ نَصْرَكَ».

ويلتفّ المسلمون حول نبيّهم ﷺ، ويثبتون حتى يفتح الله عليهم، فيقتلون يأسرون ويغنمون، ويسبون ويوم حنين انكشف رجال كثر من المعركة، وثبتت امرأة هي أم سليم بنت ملحان، معها خنجر، فيقول زوجها: يا رسول الله هذه أم سليم معها خنجر، فيقول ﷺ: «ما هذا الخنجر؟» فتقول: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اتَّخَذْتُهُ إِنْ دَنَا مِنِّي أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بَقَرْتُ بِهِ بَطْنَهُ، فجعل يضحك ﷺ، فتقول: يا رسول الله أقتل من بعدنا من الطلقاء انهزموا بك، فيقول: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ كَفَى وَأَحْسَنَ».

ويوم حنين وقد عاد النبيّ منصورًا مأجورًا غانمًا، يحدق به القوم ليعطيهم مما أفاء الله عليه، وما غنمه من هوازن، وتحلقوا حوله حتى خطفت رداؤه، فوقف ﷺ قائلاً: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ، ثُمَّ لَا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذَّابًا وَلَا جَبَانًا»، بلى والله حاشاك أن تكون يا رسول الله ويوم حنين، يقسم رسول الله ﷺ ما غنمه بين أولئك المؤلفة قلوبهم، تحبيبًا لهم في الدين وتألفا لقلوبهم ولم يقسم للأنصار شيئًا، ويحزن الأنصار وتجد قلوبهم من ذلك، ويحس بهم نبيهم المحبّ، ويبلغه وجدهم وحزنهم فيجمعهم، ويخطب فيهم قائلا: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ! أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللَّهُ بِي؟ وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللَّهُ بِي؟» وهم يجيبون: «اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ».

قال: «أما إنّكم لو شئتم أن تقولوا: جئتنا طريدا فآويناك، وشريدا فنصرناك وكذا وكذا، ألا ترضون أن يذهب النّاس بالشاة والبعير، وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟

لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار، ولو سلك النّاس واديًا وشعبًا، لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار، والنّاس دثار، إنّكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض».

ويوم حنين تنجلي المعركة عن نصر الحقّ وهزيمة الباطل، ويقدم أعداء الأمس مسلمين لله اليوم، وقد أسر المسلمون أهلهم وأموالهم فيقول رسول الله ﷺ لأصحابه: «إن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائبين، وإنّي قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أراد أن يطيّب فليفعل»، فقال الناس: «قد طيبنا ذلك يا رسول الله، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾» ■

قال أبو حامد الغزالي في «إحياء علوم الدين»:
«كان عند ميمون بن مهران ضيف، فاستعجل على جاريته بالعشاء، فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة، فعثرت وأراقتها على رأس سيدها ميمون، فقال: يا جارية، أحرقتني! قالت: يا معلم الخير، ومؤدب الناس، ارجع إلى ما قال الله تعالى، قال: وما قال الله تعالى؟ قالت: قال: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، قال: قد كظمت غيظي، قالت: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، قال: قد عفوت عنك، قالت: زد، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ قال: أنت حرة لوجه الله تعالى».

فلما استحكمت حلقاتها .... فُرجت

أميمة الجابر

أحيانًا يعجز اللسان عن البوح بآلامه، ويعجز القلم عن كتابة آهاته وشكواه، ويعجز القلب عن ضبط دقاته مهما كانت صحة جسده، ذلك عندما يشتد الهم وتضيق الصدور .. وفي لحظات الهموم والأحزان تدعونا الحكمة أن نتفكر في عدة نقاط: فالتفكر ينبغي أن يكون ابتداء في حكمة الله سبحانه في ابتلاء المؤمنين، وأنه سبحانه جعل ابتلاءهم سنة كونية، وأمرهم بالصبر فيه، وجعل ذلك الابتلاء ممحصًا ومميزًا للناس، فلو تفكرنا في ذلك لهان علينا جزء كبير من الهموم والأحزان، عندما نعلم أنها سنة الله سبحانه في خلقه: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾.

كذلك التفكر والاتعاظ بمن ضاقت بهم السبل واستحكمت حلقاتها أمامهم، ولم ييأسوا وثبتوا وتحدوا كل الصعاب حتى نجوا ومرت بهم الصعاب ومنهم نتعظ ونعتبر، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾، فمن الأنبياء نأخذ عبرتنا بالصمود والثبات، ولا نعرف قصصهم لمجرد المعرفة، فهذا ابراهيم عليه السلام الذي لجأ إلى الله تعالى، بينما حلقة الضيق تشتد لحظة سقوطه في النار، لكنها فرجت عليه عندما أمر الله تعالى النار أن تكون بردًا وسلامًا عليه.

وهذا أيوب عليه السلام الذي وصل ذروة العناء بمرضه، ولكنه عندما لجأ لربه ودعاه فقال: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، فاستجاب له ربه بعد أن وجد منه الاخلاص والصبر والثبات، ففرج عنه ضيقه.

وهذا يونس الذي وجد نفسه في ظلمة بطن الحوت، غير ظلمة البحر وظلمة الليل، ظلمات داخل ظلمات، فلما استحكمت عليه حلقة الأزمة ظلامًا وسوادًا وكربًا ولجأ إلى ربه ودعاه: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فرج عنه ربه ذلك الضيق ووجد نفسه فجأة على الشاطئ ..

هذه من معجزات الله سبحانه الذي يجعل دائمًا الصعب الشديد سهلاً، ويجعل ذروة الأحزان والهموم أفراحًا وفرجًا. وهذه أم موسى التي ضاقت بها السبل، واستحكمت عليها حلقة الكرب، وأحاط بها جند فرعون ليذبحوا وليدها، فألقت بولدها في اليم، فخرجت من نار ومرارة وحيرة إلى نار أشد توهجًا وخوفًا ورعبًا عليه، لكن الله تعالى ثبتها ومكن لها ولصغيرها وفرجت حلقة الضيق بعد أن استحكمت عليها.

وهذا يوسف الذي وجد الظلم والاضطهاد من أقرب الأقربين، لكن بصبره وقوة إيمانه بربه نصره الله تعالى عليهم، وجعله عزيز مصر، وتحققت رؤيته، عندما رآهم ساجدين أمامه بعد غيابات الجب وظلامه وسواده ووحدته ووحشته، وبعد تهم النساء له ثم سجنه وظلمه، وبعدما استحكمت عليه حلقة الكرب وبلغت ذروتها، لكن انقلبت الأمور واختلفت الموازين بفضل الله رب العالمين.

فالسبيل هنا إذن قوله تعالى: ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾، فعندما تضيق حلقة الشدة علينا أن نتحلى بالصبر، ونتخذ ممن قبلنا قدوة، وخير قدوتنا رسولنا الحبيب ﷺ وأصحابه الكرام، الذين عانوا وشربوا من الأوجاع ما جعلهم لهذه الساعة كرامًا يضرب بهم الأمثال، ومنهم نتأسى ونتعلم، فلن تنفرج الأزمات التي نشعر باستحكامها إلا بالصبر واليقين بالله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

وقد وضح لنا بجلاء ضرورة العودة إلى الله سبحانه في لحظات البلاء تضرعًا ودعاءً ورجاءً وتبتلاً وتقربًا وتوبة واستغفارًا: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

مفهوم آخر هام للغاية في لحظات الشدة هو تثبيت معاني الثقة بالله سبحانه، بأنه هو القادر على أن يفرج الكربات ويقضي الحاجات ويكشف الضر، يعز من يشاء، ويذل من يشاء، يعطي من يشاء، ويأخذ ممن يشاء، يرفع من يشاء، ويقهر من يشاء، إنه سبحانه بيده الخير وهو على كل شيء قدير، هذه الثقة وحسن الظن بالله تعالى تهون الكربات وتغير الحالات ..

ولعل التذكير بكثرة الدعاء والإلحاح فيه والشعور بالفقر الكامل والضعف بين يدي الله سبحانه أثناء الرجاء ولحظات الدعاء مما يقوي معاني الدعاء وينادي الإخلاص فيه. إننا وإن كنا نرى الشدائد في لحظات قد أظلت وتكالبت وتنادت، بمرض شديد أو ابتلاء ثقيل، فلنعلم أن هناك حلقات مفقودة لا نراها، تلك الحلقات التي يخبئها لنا القدر، فليس علينا إلا إحسان الظن بالله تعالى، فربما تكون هذه حلقات خير ورشد، فرح وفرج، نور وضياء لما هو قادم، لكن أولى لنا ألا نيأس: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ ■

كان من دعاء مطرف بن عبد الله رحمه الله:
اللهم إني أستغفركَ مما تبتُ إليك منه ثم عدتُ فيه، وأستغفركَ مما جعلته لك على نفسي ثم لم أفِ به لك، وأستغفركَ مما زعمتُ أني أردت به وجهك فخالط قلبي منه ما قد علمت.

شـــذرات

قال أبو حامد الغَزالي رحمه الله: «الصيام زكاةٌ للنَّفْس، ورياضة للجسم، وداعٍ للبِر؛ فهو للإنسان وقاية، وللجماعة صيانة، في جوع الجسم صَفاءُ القلب وإيقاد القريحة وإنفاذ البصيرة؛ لأنَّ الشِّبَع يُورث البَلادة، ويعْمِي القلب، ويُكْثِر الشِّجار في الدماغ فيتبلَّد الذِّهن، والصبي إذا ما كثر أكْله بَطل حِفْظه، وفسد ذهنه، أحْيُوا قلوبكم بقلَّة الضحك وقلَّة الشِّبع، وطهِّروها بالجوع تَصْفُ وتَرق».

وَرَد عن الحسن البصري رحمه الله قولُه: «إنَّ الله جعل الصوم مضمارًا لعِباده؛ ليستَبِقوا إلى طاعته، فسبَق قومٌ ففازوا، ولَعَمْري لو كُشِف الغِطاء لَشُغِل مُحْسِنٌ بإحسانه، ومسيء بإساءته عن تَجديد ثوب أو تَرجيل شَعر».

«الكثير مما يجري بين الناس اليوم من التنازع والتنابز والتصنيفات إذا تأملناه نجده مما لا أصل له من الأوهام والشائعات أو البهتان والإلزامات الخاطئة».
أ.د. ناصر العقل.

قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله: «المقصود من الصيام حبْسُ النفس عن الشَّهوات، وفطامها عن المألوفات، وتَعديل قوَّتها الشَّهْوانية؛ لتستعدَّ لطَلَبِ ما فيه غايةُ سعادتها ونعيمها، وقَبُول ما تَزكو به ممَّا فيه حياتها الأبديَّة، ويَكْسر الجوع والظَّمأ من حِدَّتها وسَورتها، ويذكِّرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين، وتضييق مَجاري الشياطين من العباد بتضييق مَجاري الطعام والشراب، وتَحبس قُوَى الأعضاء عن استرسالها لحكْم الطبيعة فيما يضرُّها في معاشها، ويسكِّن كل عضو فيها، وكل قوَّة عن جِمَاحه، وتلْجم بلجامه، فهو لِجَام المتَّقين، وجنَّة المتحابِّين، ورياضة الأبرار المقرَّبين».

الصبر والصلاة والاستغفار والتسبيح من أعظم ما يُعين على الثبات على الحق: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.
عبد العزيز الطريفي

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «إذا صمْتَ فلْيَصُم سَمْعك وبصَرُك ولسانك عن الكذب والمَحارم، ودَع أذَى الجار، ولْيَكن عليك وقار وسكينةٌ يومَ صومِك، ولا تجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء».

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما: «إنَّ الله جعل رمضان مضمارًا لخَلقه، يَسْتَبِقون فيه بطاعته إلى مَرضاته؛ فسَبَق قوم ففازوا، وتخلَّف آخرون فخابوا».

قال الشافعي رحمه الله: «أحِبُّ للصائم الزيادةَ بالجُود في شهر رمضان؛ اقتداءً برسول الله ﷺ ولِحَاجة الناس فيه إلى مصالحهم، ولِتَشاغل كثير منهم فيه بالعبادة عن مَكاسبهم».

قال الربيع: «يا منذر! قلت: لبيك، قال: لا يغرَّنك كثرة ثناء الناس من نفسك، فإنه خالص إليك عملك».